@ 609 @ فلم يجئنا ، ولا رأينا فيه شيئا . ! 2 2 ! أي : قصصهم وأخبارهم ، التي تقطع بها الأوقات ، وليس لها أصل ، ولا صدق فيها . فانتقل في الإخبار عن أحوال المكذبين بالإخبار كأنهم لا يدرون متى وقت الآخرة ، ثم الإخبار بضعف علمهم فيها ، ثم الإخبار بأنه شك ، ثم الإخبار بأنهم عمي ، ثم الإخبار بإنكارهم لذلك ، واستبعادهم وقوعه . أي : وبسبب هذه الأحوال ترحل خوف الآخرة من قلوبهم ، فأقدموا على معاصي ا ، وسهل عليهم تكذيب الحق ، والتصديق بالباطل ، واستحلوا الشهوات على القيام بالعبادات ، فخسروا دنياهم وأخراهم . نبههم على صدق ما أخبرت به الرسل فقال : ! 2 2 ! فلا تجدون مجرما قد استمر على إجرامه . إلا وعاقبته شر عاقبة ، وقد أحل ا به من الشر والعقوبة ، ما يليق بحاله . ^ (ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون * ويقولون متى ه ذا الوعد إن كنتم صادقين * قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) ^ أي : لا تحزن يا محمد ، على هؤلاء المكذبين ، وعدم إيمانهم . فإنك لو علمت ما فيهم من الشر ، وأنهم لا يصلحون للخير ، لم تأس ولم تحزن ، ولا يضق صدرك ، ولا تقلق نفسك بمكرهم ، فإن مكرهم ستعود عاقبته عليهم . ! 2 ! 2 . ويقول المكذبون بالمعاد ، وبالحق الذي جاء به الرسول ، مستعجلين للعذاب : ! 2 ! 2 وهذا من سفاهة رأيهم وجهلهم ، فإن وقوعه ووقته ، قد أجله ا بأجله ، وقدره بقدره ، فلا يدل عدم استعجاله ، على بعض مطلوبهم . ولكن مع هذا قال تعالى ، محذرا لهم وقوع ما يستعجلون : ! 2 2 ! أي : قرب منكم ، وأوشك أن يقع بكم ! 2 2 ! من العذاب . ^ (وإن ربك لذو فضل على الناس ول كن أكثرهم لا يشكرون * وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون * وما من غآئبة في السمآء والأرض إلا في كتاب مبين) ^ ينبه عباده ، على سعة جوده ، وكثرة أفضاله ، ويحثهم على شكرها ، ومع هذا فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر ، واشتغلوا بالنعم عن المنعم . ! 2 2 ! أي : تنطوي عليه ! 2 2 ! ، فليحذروا من عالم السرائر والظواهر ، وليراقبوه . ! 2 2 ! أي : خفية ، وسر من أسرار العالم ، العلوي والسفلي . ! 2 2 ! قد أحاط ذلك الكتاب ، بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة . فكل حادث جلي أو خفي إلا وهو مطابق ، لما كتب في اللوح المحفوظ . ^ (إن ه ذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون * وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) ^ وهذا خبر عن هيمنة القرآن ، على الكتب السابقة ، وتفصيله ، وتوضيحه : لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه واختلاف عند بني إسرائيل ، قصه هذا القرآن قصا ، زال به الإشكال واستبان به الصواب من المسائل المختلف فيها . وإذا كان بهذه المثابة ، من الجلالة والوضوح ، وإزالة

كلا خلاف ، وفصل كل مشكل ، كان أعظم نعم ا على العباد ، ولكن ما كل أحد ، يقابل النعمة بالشكر . ولهذا بين أن نفعه ، ونوره ، وهداه ، مختص بالمؤمنين فقال : ! 2 2 ! من الضلالة والغي والشبه ! 2 2 ! تثلج له صدورهم ، وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية ! 2 2 ! به المصدقين له ، المتلقين له بالقبول ، المقبلين على تدبره ، المتفكرين في معانيه . فهؤلاء ، تحصل لهم به ، الهداية إلى الصراط المستقيم ، والرحمة المتضمنة للسعادة ، والفوز والفلاح . ! 2 2 ! أي : إن ا تعالى سيفصل بين المختصمين ، وسيحكم بين المختلفين ، بحكمه العدل ، وقضائه القسط . فالأمور وإن حصل فيها اشتباه في الدنيا بين المختلفين ، لخفاء الدليل ، ولبعض المقاصد ، فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع ، حين يحكم ا فيها . ! 2 2 ! الذي قهر الخلائق ، فأذعنوا له . ! 2 2 ! بجميع الأشياء 2 ! 2 ! بأقوال المختلفين ، وعن ماذا صدت ، وعن غاياتها ، ومقاصدها ، وسيجازي كلا بما علمه فيه . ! 2 2 ! أي : اعتمد على ربك ، في جلب المصالح ، ودفع المضار ، وفي تبليغ الرسالة ، وإقامة الدين ، وجهاد الأعداء . ! 2 2 ! الواضح ، والذي على الحق ، يدعو إليه ، ويقوم بنصرته ، أحق من غيره بالتوكل ، فإنه يسعى إلى أمر مجزوم به ، معلوم صدقه ، لا شك فيه ، ولا مرية . وأيضا ، فهو حق ، في غاية البيان ، لا خفاء به ، ولا اشتباه . وإذا قمت بما حملت ، وتوكلت على ا في ذلك ، فلا يضرك ضلال من ضل ، وليس عليك هداهم ، فلهذا قال : ! 2 2 ! أي : حين تدعوهم وتناديهم ، وخصوصا ! 2 2 ! فإنه يكون أبلغ في عدم إسماعهم . ! 2 2 ! كما قال تعالى : ! 22 ! . ! 2 2 ! أي : هؤلاء الذين ينقادون لك ، هم الذين يؤمنون